((المحاضرة الثامنة : لسانيات توليدية))

إن اللغة ظاهرة اجتماعية تتأثر بكل ما يعتري الإنسان من أحوال عامة يشترك فيها جميع أفراد الأمة وليس في مقدور أي أمة إيقاف تطور لغتها أو جعلها جامدة على وضع خاص ذلك أن الأمة نفسها لا يمكنها أن تتصف بذلك إذ تتضافر العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وما إلى ذلك في تكوين البنية العامة للأمة مع مرور الأيام[3] ، فالكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً والسياق هو الذي يفرض دلالة واحدة بعينها على الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها ويخلق لها دلالة حضورية[4] .

وقد جرى العرف عند أكثر علماء اللغة في توثيق مادتهم اللغوية على الرجوع إلى الكتب التي اختصت بهذا الجانب من البحث اللغوي لان العمل المعجمي للمفردات لا يقتصر على ذكر المعنى الأصلي والمعنى الذي يطرأ فحسب وإنما يتضمن ذكر الاشتقاق والأبنية الصرفية والتغيرات الصوتية ومهمة اللغوي في البحث اللغوي تقضي : " أن يبحث كل كلمة على حدة عن أصلها واشتقاقها وعن درجة تقدمها ... "[1] وشبه بعض اللغويين الكلمات بالأحياء وذكروا إن ما يجري على الكائنات من تبدل وتحول يجري على الألفاظ بانتقال الكلمة من معنى إلى آخر أو أن يزاد إلى معناها معنى جديد من دون أن يترك

---

[3] ينظر : المصدر نفسه : 45 .

[4] الأضداد في اللغة (آل ياسين) : 57 .

[1] دلالة الألفاظ وتطورها : مراد كامل : 32-33 .

الأول فتتجدد المعاني ، ويحصل هذا التبدل بصورة تدريجية على مر العصور ، وهو ما يطلق عليه مصطلح (التطور) لأنه انتقل بالكلمة من طور إلى طور[2] .

إن مسألة المعنى الأصلي مسألة ليست محددة فللدكتور إبراهيم أنيس رأي يقول فيه : " إن الوضع الأول للكلمة شيء مقصود في الأغلب الأعم ، وليس واقعاً حقيقياً له زمن معين وعصر خاص من عصور التاريخ "[3] ، وذكر ستيفن أولمن ان الميل إلى معرفة أصول الكلمات ما هو إلا تعبير عن الغريزة المعروفة بحب البحث عن أصول الكلمات والربط بينها[4] .

ولتطور الدلالة وتغيّرها في اللفظ مظاهر مختلفة أهمها :-

1- تخصيص الدلالة .
2- تعميم الدلالة .
3- تغيير مجال الدلالة .

تخصيص الدلالة

يطلق عليه قصر العام أو تخصيص العام أو ما يسمى بـ (تضييق المعنى)[1] .

و نعني به اقتصار الدلالة العامة للفظة على بعضها فيضيف شمولها ويصير مدلول الكلمة مقصوراً على أشياء اقل عدداً مما كانت عليه اللفظة في الأصل فقد يؤدي انقراض بعض الأشياء أو العادات ومظاهر السلوك المعبّر عنها دلالياً إلى تضييق

---

[2] ينظر : فقه اللغة وخصائص العربية : 207 .
[3] دلالة الألفاظ : 128 .
[4] ينظر : دور الكلمة في اللغة : 80 .
[1] التعريفات : 35 ، و علم الدلالة (عمر) : 245 .

الدلالة وانحصارها بما بقي من تلك الأشياء متداولاً دون أن تلغى تلك المرحلة التي كانت الدلالة فيها عامة كما يمكن أن يكون امن اللبس سبباً في هذا النوع من التطور ، لان الدلالات العامة قد توقع في سوء الفهم بسبب جواز انطباقها على أشياء كثيرة فيكون التخصيص تحديداً للمقصود وإهمالاً لما عداه[2] .

وقد عرّف أبو هلال العسكري التخصيص بأنه " ما دلَّ على أنَّ المراد بالكلمة بعض ما تناولته دون بعض "[3] .

وقد تناول علماء العربية هذ الظاهرة وأشاروا إليها في كتبهم ودراساتهم اللغوية إذ وقفوا عند الألفاظ التي تخصصت دلالتها وشرحوا معانيها اللغوية وأصولها والتطور الحاصل فيها وصولاً إلى معناها الجديد ومنهم ابن قتيبة[4] والمبرد[5] ، وأبو حاتم الرازي (337هـ)[6] ، و ابن فارس[7] ،

و الغزالي(ت505هـ)[1] ، و السيوطي[2] .

وتقسم الألفاظ التي خصصت دلالتها على قسمين :-

---

[2] ينظر : في الدلالة والتطور الدلالي : 131 .

[3] الفروق في اللغة : 45 .

[4] تأويل مشكل القرآن : 161و471و472 ، و تفسير غريب القرآن : 7-36 .

[5] الكامل في اللغة والأدب .

[6] الزينة في الكلمات الإسلامية : 1 / 134 .

[7] الصاحبي : 78- 86 .

[1] المستصفى من علم الأصول .

[2] المزهر : 1 / 427 – 428 .

أولا :- الألفاظ العرفية .

ثانيا :- الألفاظ الإسلامية .

أولا :- الألفاظ العرفيــة .

عرّف أبو هلال العسكري الألفاظ العرفية إذ قال : " ما نقل عن بابه بعرف الاستعمال نحو قولنا : دابة وذلك انه قد صار في العرف اسماً لبعض ما يدب وكان في الأصل اسماً لجميعه ، وكذلك الغائط كان اسماً للمطمئن من الأرض ثم صار في العرف اسماً لقضاء الحاجة حتى ليس يعقل عند الإطلاق سواه "[3] .

أضفى العرف القولي والاجتماعي امراً دلالياً جديداً على عدد من الحقائق اللغوية امتداداً لمعانيها في أصل اللغة لتكون دالة على معنى مخصوص[4] ، لان للشيوع والتعارف من قوة الأثر ما يضاهي الأصل احياناً ولا يقتصر ذلك على اللغة فحسب انما يتجاوزها إلى شتى ضروب الحياة الاجتماعية[5] .

ويراد بالألفاظ العرفية أن يوضع الاسم لمعنى عام ثم يخصص عُرف الاستعمال من أهل اللغة وذلك الاسم ببعض مسمياته كاختصاص الدابة بذوات الأربع مع ان

---

[3] الفروق اللغوية : 50 .

[4] ينظر : البحث اللغوي عند فخري الدين الرازي : 50 ، و البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن : 162 .

[5] ينظر : التصور اللغوي عند الأصوليين : 63 ، و البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن : 162 .

الوضع لكل ما يدب واختصاص اسم المتكلم بالعالم بعلم الكلام مع ان كل قائل او متلفظ متكلم[1] .

وذكر أبو العباس القرطبي طائفة من الألفاظ التي تخصصت دلالتها مع بيان أصلها اللغوي ومن ذلك :

- الإهــلال

قال أبو العباس القرطبي : " أصل استهل : من الإهلال الذي هو رفع الصوت عند رؤية الهلال ثم غلب عُرف الاستعمال فصار يفهم منه رؤية الهلال ومنه سُميّ الهلال لما كان يهلُّ عنده "[2] .

قال ابن فارس : " الهاء واللام أصل صحيح يدل على رفع الصوت ثم يتوسع فيه فيسمى الشيء الذي يصوَّت عنده ببعض ألفاظ الهاء واللام ثم يشبَّه بهذا المسمى غيره فيسمَّى به ... فالهلال الذي في السماء سمِّي به لإهلال الناس عند نظرهم إليه مكبِّرين وداعين "[3] .

عمومها كان في استعمالها وهو رفع الصوت عند رؤية الهلال ودخلها التخصيص من استعمالها وانحصار دلالتها على رؤية الهلال .

---

[1] ينظر : المستصفى من علم الأصول : 1 / 325-326 ، و التصور اللغوي عند الأصوليين : 64 ، و البحث الدلالي عند المعتزلة : 122 ، و البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن : 162 .

[2] المفهم : 3 / 141-142 .

[3] معجم مقاييس اللغة (هل) : 6 / 11 .